الورقة المرجعية لملف

قيم الأسرة المسلمة وإكراهات الحداثة

توطئة:

يواجِه الأسرةَ المسلمَة اليوم شكلٌ جديدٌ من التَّحديات المؤثِّرة على طابَع هُويتهَا المنضَبط بإطار القيم الإسلامية حيثُ تسَلل إلى عُمق النَّسيج الأُسري نمطٌ طارئٌ من أنماط التَّفاعُلات المجتمَعية التي طَرأت على سَاحة الواقع العَالمي وهُو الوضعُ الجديد الذي تماهَت مَعه الأسرة لتنخَرِط في التَّحولات الكُبرى والاتجاهَات العامَّة للمُجتَمع سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا وقانونيًّا، واقتضَى هذا الاندمَاجُ الجديد في الحَراك الاجتمَاعي انكمَاشًا للمؤثِّرات التَّقليدية للأسرَة في المجتمَع فانقَلبَ الدَّور الطَّبيعي لذَلك التَّأثير وأصبَحَت سُلطة المجتمَع بحمُولتهَا الثَّقافية والسياسيَّة والاقتِصاديَّة تلعبُ دورًا حَاسمًا في تَأطير نمَط العلاقَات الأُسريَّة الداخليَّة.

إنَّ انقِلاب عَوامِل التَّنشِئة الأُسريَّة وتصَدُّع قيَمِها الأساسيَّة لصَالح تَنشئةٍ عالميّةٍ جَديدة سينعَكسُ بلا شكّ على اختِلال الأدوَار الوظيفيَّة داخِل الأُسرة، حيثُ برَزَت تشكيلاتٌ ثقافيَّةٌ تُغذِّي اتِّجاهَات التَّحرُّر من الرَّقابة الأخلاقيَّة الاعتباريَّة للأُسرة صَاحَبَها توجُّهٌ مقصودٌ لتَضخِيم نزعَة التَّفرّد التي سَتؤدّي بشَكلٍ حَتمِي إلى ترهُّل عنَاصر الوِئام الأُسَري كعناصرٍ مركزيَّةٍ وفطريَّة.

على صَعيدٍ آخر؛ خَاضَت أوسَاطٌ إعلَاميَّةٌ ومنظَّماتٌ حقُوقيَّةٌ لِيبراليَّةٌ في تَدويلِ الهويَّة الجديدة للأُسرَة ودَمجهَا في الصُّورة الإنسَانيَّة الجديدَة بادِّعاء مَركزيَّة الإنسَان الكَونيَّة واستعَادة دَورِه وتَحريره مِن كلِّ السُّلطَات "المتوهَّمة"، تلاهَا نوعٌ من التَّأطير الرَّأسمالي للأخلاق الذِي انحسَرَت بسببه –في حالات عديدة– أشكَال التَّعاون والتَّكافُل والتَّكامُل الضَّرورية لكُلِّ حَالةٍ أُسَريَّة واستُبدِلَت تلكَ الضَّروريَّات بِقيَم الصِّراع والتَّنافُس والتَّمَركُز حَول الذَّات وهِي نفسُها مُقدِّماتٌ لمشرُوعٍ مَا بعد حَداثيّ ناسِفٍ لِكلِّ مركزٍ وقيمَة.

لقد أَسهَمَت ثورةُ الاتِّصالات والمعلُوماتيَّة وبُروز أشكَال التَّواصُل غَير التَّقليديَّة في وسَائل الإعلاَم إلى تَغيُّرٍ في الأنمَاط التَّواصليَّة والسُّلوكية. وفي السَّنوات الأخيرة بدأَت بعضُ السُّلوكيَّات الغربيَّة تأخُذُ طابعًا عالميًّا يتجَاوزُ الحُدود الجغرافيَّة مما يؤثّر سلبًا في تماسُك المجتمعَات الوطنيَّة وتقاليدهَا، وهو ما يؤدِّي إلى حُدوث صِدامٍ بين الحدَاثة والتَّقاليد[1]. صاحَب هذا الوضع تخلِّيًا للأسرة –كوعاءٍ تربويٍّ فريد– في عددٍ من الأمكِنَة والأزمنَة؛ عن مهمَّتهَا الأساسيَّة وهي الحفَاظ على الحدِّ الأدنى من التَّنشئة الوالديَّة وممارسَة دورهَا الرَّقابي على النُّمو الفِكري والبنَاء الثَّقافي للأبنَاء، وهو الأمرُ الذي أدَّى إلى تشَوُّه مَعالم الانسَجام بين أجيَال الأسرة الوَاحدة.

أهمية موضوع الاستكتاب:

إن المتابَعة العلميَّة لمسَائل تَشكيل الأسرة وتكوينِها التَّربوي وابتكَار الحلُول للأزمَات التي تَتهدَّد قيمها و هُويَّتها الإسلاميَّة؛ أضحَى من اللوَازم البحثيَّة التي يتطلَّبُها المجتمَع المسلم الذِي تتَفاقمُ احتياجَاته يومًا بعد يوم في ظلِّ أزمةٍ حضَاريَّة تُعدُّ الأسرةُ أحَدَ أهمِّ رَوَافِدِها، وتَكوينُ أفرادِ الأُسرَة وتهيئتهِم لظُروف الحيَاة وتَنشِئتهِم وفقَ الإطَار التَّربوِي الملائِم والفَعَّال وبذلِ الجُهد في صَقل معَالم شَخصيَّاتهم الذّهنية والعلميّة والدينيّة؛ هو من لوَازم وُجود الأسرَة وأَوَّل بندٍ في دُستُورهَا الأَصيل، ولا يتَخلَّى عن هذا الركن طوعيًّا سِوى من حَادَ عَن أصلِه الفطرِي وفِكرِه البشَري وتَكوينِه الشَّرعي الإسلامِي. كمَا أنَّ تَتَبُّع قيَمَ الأُسرة المسلِمة ضِمن الإطار العِلمِي عَملٌ علميٌّ يخدمُ أَغراضًا عَديدةً يختصُّ بهَا التَّربويون والشَّرعيُّون والاجتماعيُّون والمؤسَّسات التَّربوية التي تُعنَى بمحَاصرَة أسبابِ التَّراجُع الفِكري والسُّلوكي لَدى شبَاب اليوم. تبعًا لذلِك؛ يجدر الانتباه إلى رُوح العَالم المعَاصر التي أذكَت رُوحَ الانفصَال لدى كثيرٍ من شبَاب اليوم بفِعل صياغةٍ مُنهَجةٍ خارِج الأُسرة أدَّت إلى تَوليد مسلَكَين مُتناقضَين لديهِم وهمَا: التَّسارع نحو المسرح الكَوني وتَبنِّي مَظَاهرِه وآفاتِه

[1] – عبد الله عبد الدايم، **دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة: الثقافة العربية الإسلامية بين صدام الثقافات وتفاعلها**، (بيروت: دار الطليعة، 1988)، ط1، ص39

المتعدِّدة، ومحَاولة إثبَات الجُذور وانتِزاع الاعتراف بالهويَّة، هذا التَّناقُض ذُهِلَت عنه الأسرَة المسلِمة في تَنشِئة أبنَائِها حَول مَفاهيم الهُويَّة والقيم ومَعنى الانتِمَاء دُون استِبعَاد مسؤُوليَّة الدَّولة في الحِفاظ عَلى رُوح الانتِماء ومعنَاه وسُلطتهَا الضَّابطة للأُلفة والوِحدة الثَّقافيَّة والسِّياسيَّة للمُجتمَع. في المقابِل؛ تبرُز مَظاهر أخرَى لتنشِئةٍ أسَريَّةٍ صلبَة حَول هُويَّةٍ ضيّقةٍ يتصدَّرها "مفهُوم القبيلة" في مُقابل " مفهُوم الدَّولة" والانكفَاء عَلى الحُدود الإثنيَّة داخِل المجتمَع الواحِد، وهُو الأمرُ الذي يتَهدَّد المجتمعَات كبُنى تواصليَّة وتعارفيَّة واسعَة، كمَا يتهَدَّد عمليَّة التَّربية نفسَها باعتِبار التَّربية "ترقيةٌ لجمِيع أوجُه الكمَال التي يمكنُ ترقيَتهَا بالفَرد ...وجَعل الفَرد أو الأفراد أداة سعادةٍ للنَّفس وللغير" [2].

وبالعَودة إلى أدوَار الأُسرةِ وشَكلِها في الإسلاَم؛ فإن الدُّستُور القُرآني قد عبَّر عن إطَارين فَريدين لها: الإطار الإنسَاني والإطار الرَّباني، بما فيهِمَا من خُلقٍ ومودَّةٍ وِفقَ مقصَدٍ ربانيٍّ محمُود وهو التَّعايش، والتَّعايش يقتَضي التَّراحم والتَّشارُك الإيجَابي وبذلُ الودّ والتَّعاطف واللين وتقدِيم أسبَاب السَّكينة والاطمِئنان. كمَا لم يضع الإسلام شكلاً محدَّدا للأسرة فهي نوويَّة صَغيرة وهي كبيرةٌ واسعَة، وهذا الأمرُ يستدعِي تحصِين الوَعي الإسلامِي بمفهُوم وقيم الأسرَة لما للمَفاهيم الحديثَة من ضررٍ على هذَا الوعي بسَبب السِّياقات الحداثيَّة والظُّروف التي تنزَّلَت فيهَا مُحاولات إعادة تَعريف الأُسرة.

أسباب اختيار الموضوع:

إن النِّقاشَات الحداثيَّة الطَّارئة حول جَدوى الأُسرة ودورهَا لا تُشكِّل خطرًا فقَط على التَّناسُل الضَّروري لاستِمرار الحيَاة وإنما على الحيَاة الشُّعورية والصِّحة النَّفسيّة للإنسَان المعَاصر، وتَحويلُ الفِطرة عن مسَاراتها ومُقتضيَاتها الجِبلِيَّة والتَّحريف الوَضعِي لمقاصِدِ الزَّواج لا يمكِن التَّعبير عنهُ إلا بمحَاولات تفكِيك الإنسَانية وتفجِير مُقوماتها الأسَاسيَّة، وإفقَاد الإنسَان دورَه الأسَاسي واستِنزافه بسبب شُعوره بالاغتِراب النَّفسي والاجتمَاعي وتَبَنّيه لقِوى العبثيَّة والعَدميَّة. كما أنَّ دعَوات

2 – نقلا عن :إبراهيم ناصر، **أسس التربية**، (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 1428 هـ، 2007 م)، ط2، ص 1 (تعريف كانط وجيمس ميل للتربية).

التَّحرّر الجنسِي وتشجِيع المثليّة ومختلف قضَايا الجَندَر والتي أَخذَت أبعادًا قانونيّة في أَروقة المنظَّمات الحقُوقيّة الدوليَّة تبعَث على استشعَار الخطَر بمستَقبل الأُسرة، وشَكل الأُسرة على المدَى القَريب والبَعيد، وقد أخَذَت تلكَ المنظَّمَات على عَاتقِها الدِّفاع عَن قضَايا تتَعلَّق بـ "السُّلطة الأبويَّة" ومسَاواة الرَّجل بالمرأة واتهَام الإسلام وبعضِ الأديَان بقَهرِ المرأة واستِخدام قضَايا "زواج القاصرات" و"الولاية في الزَّواج" و "قضَايا الميراث الإسلامي" و "حريَّة الإجهَاض" كوثَائق داعمَة لخطِّها الدِّفاعي المزعُوم عن حقُوق المرأة وَحرّيتهَا.

الدراسات السابقة:

مِن أجلِ استِشراف أفضلِ المعالجَات وبحث أجوَد الحُلول لمعضِلات الأسرَة المسلِمة المعَاصرة تَنطلق دَعوتُنا لمدَارسَة وضع الأسرة المسلمة في ظل إكراهات الحداثة، وهي المسأَلة التي بَدأ الاهتِمامُ ببعضِ تفَاصيلهَا لدَى عددٍ من الكُتَّاب والهيئَات في العَالم الإسلامي والعَربي، فعلى سبيل المثال انعقد مؤتمر (الأسرَة المسلمَة في ظلِّ التَّغيُّرات المعاصرة) الذي عَقَدَتهُ الجامعَة الأردنيَّة بالتَّعاون مع المعهد العَالمي للفِكر الإسلامي سنة 2013، وتناول قَضَايا: (مفهُوم الأسرَة ومكانتهَا في الفِكر الإسلامي– أُسُس البنَاء الأُسَري ومقَاصدِه في الأفرَاد والمجتمَع– تَأثير التَّحوُّلات الاجتِمَاعيَّة في الأُسرة والتَّحديات التي تُواجهها– الفِكر الغَربي وانعِكاسَاته على منظُومة الأُسرة المسلِمة– تجَارب وخبرَات عمليَّة في المحافَظة على دَور الأُسرة) [3]. كما أشَارت دراسَة (سُوسيولوجيَا الحَداثة، تحليلٌ نقديٌّ مُقارنٌ في مضَامين الحدَاثة وممارسَاتها)[4] ؛ إلى دَور العَائلةِ في احتِواء قيَم الحَداثة وتوطِينهَا وتوطِيدهَا من خِلال تنشِئةِ الفَرد عليهَا عبر آلياتِ التَّربية والتَّنشِئة الاجتمَاعِيين وهِي بذلكَ تَبثُّ مشرُوع الحداثَة مِن خلالهَا كمَجالٍ خِصبٍ لكلِّ الرّهانَات الاستراتيجيَّة ولمشَاريع المجتمَع المختَلفة،

[3] - رائد جميل عكاشة وآخرون، **الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة**، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2015)، ط1.

[4] - مهدي مبروك، **سوسيولوجيا الحداثة، تحليل نقدي مقارن في مضامين الحداثة وممارساتها**، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1997.

فالحدَاثة الغربيَّة ما كَانت لتتَوطَّن كمشروعٍ حضَاريّ عمِيق لولا احتضَان العَائلة لقِيم هذِه الحدَاثة وغَرسِها في التُّربة التَّحتية للمجتَمعَات. وقد عَرَضت الدِّراسَة عَوامل التَّحديث في الأُسرة وهي: الرأسماليَّة والعقلانيَّة وسِتر الحيَاة المدينيَّة، والعَلمَانية. كما تَناولَت مجالاتِ التَّطور في العَائلة وهي المجَالات المتعَلِّقة بالعَلاقَات (علاقَة الارتبَاط العَاطفِي، علاقَة العَائلة بالمحيط، علاقة الأفرَاد فيمَا بينهم). وفي نفس السِّياق؛ اتَّجهَت دراسَة (الأسرة مَا بعد الحَداثيَّة أو مَا بعد الأُسرة) 5 إلى تَحليلِ طبيعَة انتقَال الأُسرَة المعَاصرَة من العَلاقَة التَّراحميَّة إلى العلاقَة التَّعاقُديَّة بفِعل الفَردانيَّة، واحتكَامِها إلى "الوَاجب" بصِيغتِه العلمَانيَّة، الأمرُ الذي أدَّى إلى انتقَال الأُسرَة مَا بعد الحدَاثيَّة إلى وَضعٍ آخَر لم تَعد تحتَكمُ فيهِ إلى "الوَاجبِ العقليّ" الذي فَرضَه الزَّواج المدنيّ وإنَّما صَارت عَوامِلُ الهوَى والرَّغبة كغَاياتٍ فرديَّة خالصَة للأُسرة ليتمَّ التَّكامُل بين الفَردانيَّة وطَاقة الاستهلَاك، وتكشِفُ الدِّراسة عن العَامِل المسَاهم في هذا الانتقَال وهو "التَّوسِيل الذي تمارسُه التَّطبيقات البيوتكنُولوجية في مجَال الأُسرة" كما سَاهمَت فيه حالة اللامقاومة للمَد اللّامُتناهي للحُقوق على حسَابِ الواجبَات الذي يُرجَّح فيهِ الحقُّ في الحريَّة على استِقامَة الفِطرة البشريَّة كمُقدمَة لنهَاية الإنسَان ومَوت المجتمَع.

وعن فُقدَان الأسرة لأدوارها الأصلية؛ عالجت درَاسة (الأُسرة والدَّولة: الماضي الغَربي أم المستَقبل الإسلامي)[6] مفهُوم الأُسرة ضِمن دَائرة العُلوم الاجتمَاعيَّة الغربيَّة، ووقَفَت عَلى فُقدان الأُسرة لِدور التَّنشئة الاجتمَاعية وفصلِ دورِها عن الحيَاة العامَّة في ظلّ الرأسماليَّة مع نزعِ كلّ مقدَّسٍ مرتبطٍ بالأُسرة، كمَا أشَارت إلى ارتبَاط وظائفِ الإحيَاء الحضَاري بالأُسرة وعَلاقَاتها التَّراحميَّة الممتدَّة في مُواجهَة الاختِراق الخَارجي.

---

[5] - نورة بوحناش، **الأسرة ما بعد الحداثية أو ما بعد الأسرة**، مجلة آصرة الرقمية، العدد الثالث، نوفمبر 2021.

[6] - هبة رؤوف عزت، **الأسرة والدولة: الماضي الغربي أم المستقبل الإسلامي**، (ضمن كتاب إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد)، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1997) ط2، الجزء 2 ص ص: 337- 353.

وغير بعيدٍ عن مخَاطِر استهدَاف الأسرَة؛ تسَلط دراسَة (المَوَاثيق الدَّولية وأثَرها في هَدم الأُسرة)[7] الضَّوء على محَاولات تحديث الأُسرة و "هَدمها" بواسِطة بعضِ اللوبيَات الممتدَّة داخِل المنظَّمات الدَّولية، والسَّعي إلى تَقنِين الشُّذُوذ الجنسِي وتَشويهِ الزَّواج وإلغَاء الفُروق بين الجنسَين وحِرمان الطِّفل من التَّربية الوَالديَّة وتعاظم مخَاطر الفِكر النّسوِي...إلخ، بأذرُع الإعلَام والقَانون والهيئَات الدوليَّة الكبرى وتَوظيف بعض القيَادات الدينيّة.

وعَلَى ذكر مخَاطِر النّسويَّة؛ تتَّجه بعض الدِّراسَات –في المقابل– إلى المقاربَة النّسويَّة النَّقديّة للإطَار الإسلامي في التَّشريع الأسري ومختلف مناحي الحياة، مثل:

– دراسة (مقدمة في الدّراسَات الأمنية النَّسويَّة Feminist Security Studies: An introduction)[8] في ملف بحثي جمَاعي بعُنوان (دراسات الجندر في المنطقة العربية، اتجاهَات بحثيَّة جديدة) جَادَلَت الدّراسَة عن حقُوق المرأَة في المشَاركة السّياسيَّة والأمنيَّة، واعتَبَرَت أن المرأة في البِلاد العَربيَّة تُعاني من "التَّحرُّر غير الكَامِل" بفِعلِ أَبَويَّةٍ خاصَّة من طَرف الأُسرة النَّووية تُعزّزهَا الدَّولة الأبَويَّة الجَديدة حيثُ يتمُّ تحديد معَايير النَّوع الاجتِمَاعي (الجندري)، كَمَا يجرِي إدراجُ هذه العَلاقَات الأبويَّة الجندَريَّة والتَّسَلسليَّة في القَانون، بينما لا يمكِن تَغطيَة الحقُوق المدنيَّة للمَرأة في المنطِقَة العَربيَّة إلَّا في فقرَات يسِيرة مثل حقِّ الملكيَّة وهوَ أحدُ الحقُوق القَليلَة التي تحتَفظُ بها النّسَاء بقوَّة في المنطِقَة فقَط لأنَّه حقٌّ منصُوصٌ علَيه بوُضوحٍ في القرآن، كمَا تَعرِض الدِّراسَة لمَا تعتَبره أشكَال سَلب حقّ المرأَة مثل: إذنِ الزَّوج لزوجَته في العمَل، والتَّدخُل العَائلي في إبرَام عقد الزَّواج واشتِرَاطَات الطَّلاق بالنّسبَة للمَرأة... وفي مجَال المشَاركة السّياسيَّة والأمنيَّة للمَرأة؛ تَرى الدِّراسَة أن المرأَة قد تمَكَّنت من الوصُول إلى الوظَائف الذُّكورية التَّقليدية إلا أنَّها مَازالت تُعاني عَدم المسَاواة بين

[7] -كاميليا حلمي، **المواثيق الدولية وأثرها في هدم الأسرة** (بداية من تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام 1945م وحتى مطلع عام 2019)، (دون معلومات النشر).

[8]- Dalia Ganem, Feminist Security Studies: An introduction, (Gender Studies in Arab Region, new research directions), Arab Council for the Social Science, Beirut, 2023.

الجنسَين، فالمرأة –بحسَب الدراسَة– فَاعلةٌ سياسيَّة وأمنيَّة حقيقيَّة بدلِيل النَّماذج النَّسويَّة العَديدة التّي شَاركَت –أيضا– في مهَام قتاليَّة ومَارسَت العُنف متجَاوزةً الأدوَار اللوجستيَّة إلى تَأدية أدوَار قتاليَّة حقيقيَّة لا تقِلُّ عن أدوَار الرَّجل.

وفي نفسِ الملف البَحثي؛ ترى دراسَة (الجندَر والقَانون: المثَال التُّونسي) [9]؛ أن الفِقه الإسلامي أدَاة هيمَنة ذكُوريَّة وهو بتَشريعَاته لا يُواكِب حركيَّة المجتَمعَات الإسلاميَّة المعَاصرَة المتَّجهة نحو التَّطوُّر، بدليل هيمَنتِه الدّينيَّة والاجتمَاعيَّة والعِرقية إضَافةً إلى هيمَنة النَّوع الاجتمَاعي أو الجندَر.

–وفي حَقل "النّسويَّة الإسلاميَّة"؛ تطالعُنا دراسَة (قراءةٌ في تفسِير القُرآن واعيَةٌ لاعتبَارات الجندَر) [10] التي دَعَت إلى التَّنقِيب في الحوَاشِي الثَّقافيَّة التي تَرتبِط بالآيات القُرآنية المتعَلّقة التي ترتَبط بالجندَر والخطَاب الذي أنتَجه المفَسّرون المتَتابعُون فيمَا يخصُّ تلك القَضايا، وتحلِيل "أصوَاتهم وآرائِهم الخاصَّة" المستَخدمَة في شَرح الرسَالة الإلهيَّة، ومن ثم اعتبَار نصُوص هذه التَّفاسير مَواقع صيَاغةٍ اجتمَاعيَّة وثقافيَّة للجَندر، إذ لِتلكَ النُّصوص نفوذٌ أوسَع في التَّأثير في أشكَال الفَهمِ الرَّائجَة للدِّين ومِن ثمّ في التَّأثير عَلى صيَاغَة المعَايير والوَعي الاجتمَاعي، والممَارسَات والمَواقف "المجحِفة" تجَاه النّسَاء في المجتمعَات المسلمَة، وهو اجتهَاد مشروعٌ –حسبَ الدّراسَة– حول التُّراث وإبرَاز النّقاط التي يحيدُ فيهَا عن رسَالة القُرآن الأصليَّة، لتَصلَ الدراسَة إلى أنَّ هُناك حاجةٌ مُلحَّة إلى منهَجٍ أو منظُورٍ بديلٍ للتَّعامُل مع قضَايَا التَّفسِير، بغيَة الوصُول إلى نتَائج مسَاواتيَّة فيمَا يتعَلَّق بمكَانة النّسَاء وأدوَارهنّ.

---

[9] - زهية جويرو، **الجندر والقانون: المثال التونسي**، (دراسات الجندر في المنطقة العربية، اتجاهات بحثية جديدة)، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت، 2023.

[10] - أميمة أبوبكر، **قراءة في تفسير القرآن واعية لاعتبارات الجندر**، (النسوية والدراسات الدينية) ترجمة: رندة أبوبكر، ط1، مؤسسة المرأة والذاكرة، 2013، ص ص 269-288

وعن دَور المرأَة في العَالم الإسلاميّ ومكَانتها في الأُسرة ومسَاهمَاتها في المجتَمع؛ تطرَح جَامعَة أكسفُورد ببريطانيَا ملفًّا بحثيًّا جمَاعيًّا لمتخصّصين بعُنوان" مرجَع أكسفُورد للإسلام والمرأة"[11] ، وهو الملَف الذي يسَلِّط الضَّوء على التَّفسِير القُرآني لبَعضِ مَا يتَعلَّق بوَضعِ المرأَة وَأَدوَارِهَا، وتحلِيل الأحَادِيث النَّبويَّة التي تَتنَاول قضَايَاها، والأحكَام الشَّرعيَّة المتَّصلَة بحقُوقهَا القَانونيَّة والاجتمَاعيَّة، إضافةً إلى رَصدٍ للأنشِطَة العلميَّة والأدَبيَّة للمَرأة المسلمَة عَبر الزَّمن، ونَشاطهَا في عددٍ منَ المجتَمعَات المعَاصرة ذاتِ الأغلبيَّة المسلمَة.

هذه الدِّرَاسَات وغيرهَا؛ بلا شك تسَلِّط الضَّوء على جَوانبٍ متعلّقةٍ بجوَانب التَّحديث الأُسَري، إلا أنَّ هنَاك حاجةً مُلحَّة لبَحثِ الأسئلَة التي لا تَزال عَالقةً في خِضَم اتّسَاع مظَاهر تصَدُّع القِيم الأُسريَّة واضطِراد المشكِلات المؤثّرَة على بِنيَة الأُسرَة وعَلى أدوَارهَا ووظَائفِهَا التَّربويَّة. فالمشهَد العَالمي اليَوم يُنبئ بتَحوّلاتٍ متَسَارعةٍ على أصعِدةٍ كثيرةٍ تنعَكسُ بشَكلٍ مبَاشرٍ على قِيم الأُسرَة، ولَا بد مِن بحثِ هذَا التَّأثِير الطَّارئ في مُستَويَاته المتَعدّدة.

ومن الأسئِلة الرَّاهنَة التي تُلقِي بِظِلالهَا عَلى وَاقِع البَحث المعَاصَر في مُعضِلات القِيم الأُسَرية وتحتَاج إلى بَسطٍ وتحليل: سُؤال البِنيَة، وسُؤال الوظَائف، وسُؤال الثَّقافة، وسُؤال القَانون، وسُؤَال التَّنشئَة، وسُؤَال التَّعلِيم، وسُؤال الإعلام وسُؤَال التَّماسُك. وهي الأسئِلة التي نَعرضُها في الإشكاليَّة التَّالية.

---

[11] The Oxford Handbook of Islam and Women, Edited by Asma Afsaruddin, 2023.

https://global.oup.com/academic/product/the-oxford-handbook-of-islam-and-women-9780190638771?cc=us&lang=en&#

إشكالية الموضوع:

نتيجَةً لحَالةٍ من التَّجاذب القُطبيَ بين الحدَاثة والأصَالة لدى المجتمعَات المسلمَة وغيرها من المجتمعَات؛ طرأَ على الأُسرَة وضعٌ جديدٌ اتَّخذ مسَارين متنَاقضَين همَا: مسَار الانخرَاط في تحدِيثٍ ثَقافيّ عَابرٍ للحُدود والثَّقافَات، ومَسَار الالتزَام بالمرجعيَّة الدينيَّة أو بمرجعِية الثَّقافة المحليَّة. هذَا الوَضعُ أَسهَمَ في خَلقِ نوعٍ من صِراعِ القيَم داخِل الأُسرَة نتيجَة تسَلُّل قيَم الرأسمَاليَّة بطابعهَا الشُّمولي وبمَا تحمِله تلكَ القِيم من تنافسيَّةٍ وإلغَاءٍ واستقلاليَّة، وهي القِيم التي وَضعَت الأُسرة المسلمَة وغِيرهَا في مَأزقٍ اتخَذ أبعادًا متعدِّدة على مُستَويات: البِنية والوَظَائف، الانسجَام العَائِلي، والحقُّوق، والنِّظام التَّعلِيمي، إضَافةً إلى العَامل الإعلامِي في تَرسِيخ القِيم الأَصِيلة أو سَلخِها وعَامِل المنَاعة الذَّاتيَّة ضِد أشكَال التَّغرِيب الأُسَري.

وعَلى هَذا الأسَاس تَبرُز الحَاجَة إلى مُعَالجَة هذِه المستَويَات التي تُعَبِّر عَن المأزِق الأُسَري المعَاصَر، وهي المعَالجَة التي نَتسَاءلُ فيها عَن: مَاهية الدَّور الأُسَري في استِيعَاب القِيم الإسلاميَّة والمحَافظَة عليهَا في ظلّ استِلاب الحدَاثَة لمقَوّمَات الإنسَانيَّة وثقَافَات الشُّعوب.

وَلِبَسطِ التَّسَاؤُل العَام نَطرحُ عَددًا من الرَّوافِد المهِمَّة التي تُفكّك هذِه الإشكَالية وتُعَبِّر عنهَا:

مُشكلة بِنيَة الأُسرة: يجرِي حاليًا في الأَوسَاط العِلميَّة والإعلاميَّة إقحَامٌ لنقَاشٍ غير محسُوم؛ بثُنائيَّةٍ ضدِّية في تقييم وضعِ الأُسرَة المعَاصرَة، تلكَ الثُّنائيَّة التي تَفتَرض وَضعَين مُتنَاقِضين للأُسرة؛ الوَضع التَّقليدي والوَضعُ المعَاصر، وهو التَّقسِيم الذي لا يخلُو من تَوجيهٍ إيديُولوجيّ لفَرضِ منطِق التَّساوي في التَّعبير عَن بِنيةِ الأُسرة، فالأُسرَة المعَاصَرة قد تستَقلّ – في النَّمط الزّواجِي– بالنَّوع الوَاحد في أَحَد التَّفسِيرات ذائِعَة الانتشَار اليَوم، وهو مَا ينذِر بانقِلابٍ خَطيرٍ في تَصوُّر شَكلِ الأُسرَة وَبنيَتهَا الوَظيفيَّة.

مُشكِلة الوَظيفَة الأُسَرية: بِسبب تَراجُع الرُّكن المعنَوي للأُسرَة في ظلّ ثقَافة الاستِهلاك السَّائِدة واختِلال تَراتُبِ القِيم؛ تَتَّجه الوَظائِف الأسَاسيَّة للأُسرَة نحوَ الضُّمُور، فيتَقلَّص الإنجَاب وتَنحسِر مسَاحة التَّنشئَة الوَالديَّة، ويتَعزَّز مفهُوم الاستِقلال العَاطفِي والاجتمَاعي والاقتصَادي، وتَغدُو التَّفاعُلات الضَّرورية للبنَاء الاجتمَاعِي طوبَاويَّة تُحيل الأُسرَة إلى كَيَانٍ صُوريٍّ دُون إنتاجٍ أو تَأثير.

مُشكِلة التَّفكُّك الأُسَري: حيثُ بَرَزَ على السَّطح نَوعٌ مِن السِّجَال الجدِيد في أَحقيَّة القِيادة الأُسَريَّة وأَولَويَّتِهَا، ممَّا انعَكَسَ على الحيَاة العَاطفيَّة داخِل الأُسرة، وأدَّى – بهذِه الأسبَاب وغيرِها– إلى التَّفكُّك الأُسَري بِنِسبٍ مَهُولة اختَصَرَتهَا مجلَّة الإيكُونوميست البريطانيَّة في عنوان (العَرب يُطلّقُون في غَالب الأَحيَان)[12]، حَيثُ قُدِّرَت نسبَة الطَّلاق في دُول العَالم العَربي –المسلِم في أغلَبِه– بثُلث الزِّيجَات، في حِين تَنخَفِض نِسَب الطَّلاق بشَكلٍ مَلحُوظ في العَالم الغَربي كمَا جَاء في التَّقرِير.

2– **مُشكِلَة الثَّقَافَة المحليَّة:** غَيرَ بَعيدٍ عَن أسبَاب التَّفكُّك الأُسَري؛ تحتَل التَّحدِيَات الدَّاخليَّة مكَانَةً بَارِزةً في تَراجُع القِيم الإسلاميَّة للأسرَة، فلا يزَال عددٌ الثَّقافَات المحلِيَّة تُؤثّر بشَكلٍ سلبِيٍّ في نَمط الزِّيجَات والملكيَّة والنَّفقَة، ونمَط تَشكِيل العلاقَات الأُسَريَّة وأنمَاط التَّربية فيهَا، ولم تَتمَكَّن الأُسرَة المسلِمَة في عَددٍ من المجتَمعَات مِن تجَاوز تَأثيرِ تلكَ الثَّقَافة التَّقلِيديَّة التي تُقَدِّم القَبَلي عَلى الاجتِمَاعِي والعُرفِي عَلى القَانُوني والعَادَة على الشَّرع.

---

[12] - The Economist, Arabs are divorcing more often, and women are more likely than before to initiate a split, Sep 15th,2022.
https://www.economist.com/middle-east-and-africa/2022/09/15/arabs-are-divorcing-more-often

3- **المشكِلَة القَانُونيَّة:** عَلى إِثر تَحدِيث قَوانِين الأُسرَة في عَددٍ من بُلدَان العَالم الإسلامِي طَرَأَت تَحَوُّلاتٌ مؤثّرة في شَكلِ العلاقَات الأُسَريَّة، بسَبب قَضَايا الحقُوق، وسَقفِ حريَّة التَّصرُّف والملكيَّة الماديَّة والجسَديَّة لأفرَادهَا، إضَافةً إلى تَقنِين أشكَال الزَّواج والطَّلاق والنَّفَقَة وهو مَا يطرحُ تسَاؤلاتٍ حولَ الهُويَّة النَّصيَّة لتِلكَ القَوانِين واستِمدَادَاتها الثَّقافيَّة.

كمَا مَارَسَ الفِكر النّسويُّ الحديثُ دورًا في التَّأثِير على قَانون الأُسرة، حيثُ تمَكَّنَت المرأَة مِن تَجاوُز وَظائِفهَا التَّقليديَّة عبرَ مَسَارٍ من النّضَال الحقُوقي والاجتمَاعي أدَّى إلى نَوعٍ من الاستِقلال المادي والمعنَوي للمَرأَة سُرعَان مَا تحوَّل -في كثِيرٍ من الأحيَان- إلى استِقلالٍ اجتمَاعيٍّ غيَّر من مَفهُوم القَوامَة القُرآني في كَثيرٍ من تفَاصِيلِه.

4- **مشكِلة النِّظام التَّعليمِي للأبنَاء:** فَرَضَت الاستجَابة لحرَكة الوَاقِع الاجتمَاعي والاقتصَادي تغيِيراتٍ على النِّظَام التَّعلِيمي وهو التَّغيُّر الذي يُلقي بثِقَله عَلى منظُومة القِيَم الأُسَرية، في ظلِّ التَّبَايُن الوَاضِح بين الأجيَال التَّربويَّة، وتَعدُّد النُّظُم التَّعليميَّة العَامَّة والخاصَّة، وانتشَار المدَارس الدَّوليَّة بمرجعيَّاتها ومَنَاهِجهَا الخَاصَّة، إضَافةً إلى الوَسَائط التّكنولوجيَّة المتَعدِّدة وتَأثيرهَا على نوعيَّة التَّعلُّم.

5- **مُشكِلة التَّنشِئة:** طَرَأَت عَلى الوَاقع التَّربوي للأُسرَة المسلمَة تَحدّيَاتٍ جدِيدة، أَبرَزهَا مَظاهر الازدوَاجيَّة الثّقافيَّة في المجتمع وتسَلُّلها إلى الأُسرة، إضافةً إلى هَشاشة ارتبَاط الأبنَاء بالهويَّة الإسلاميَّة، وضعف الحصَانَة لدَى الأبنَاء تجَاه حَالات الاستلاب الثَّقافي والتَّأثير السَّلبي للمُحيط الاجتمَاعي، فَضلًا عن تَحديات التَّنشِئة لدَى الجاليَات المسلمَة في الغَرب في ظلِّ إكراهَات القَوانين الرسميَّة والسّياسَات وتقَاليد تلك المجتمعَات.

6- **المشكِلة الإعلاميَّة:** عوضًا عن معَالجة الإعلام لمظَاهر اضمِحلال القِيم الأُسَرية وتصَدُّعهَا؛ سَاهَمَت كثيرٌ من وسَائِل الإعلام والتَّواصُل الجديدَة في الاستِبدال الخَطير للقِيم الإنسَانيّة في صُورة تَسرِيب المفَاهيم الجندَريَّة المنَاقِضَة للفِطرة إلى

عُمقِ الأُسرة المعَاصرَة، ومَازَال نقاشُ الرأي العَام العَالمي يُجادِل في مُشكِلة الفَرض العَالمي لـ"الحقّ في الأُنوثة" أو "الحقّ في الذُّكورة" دُون المبَادرة الإعلاميَّة والسَّعي الرسمي إلى "الحقّ في الفِطرة – الحقّ في الأُسرَة" ووسَائل تَحصِين القِيم الأُسَرية.

محاور الاستكتَاب:

بالنَّظَر إلى طَبِيعَة مَوضُوع الاستكتَاب واشتِباكه مع مُعضِلات الوَاقع المعَاصر؛ فإنَّ اتّجاه الكتَابَة فيه يُعوّل عَلى الجَمع بَين الإطَارَين التَّطبيقِي والنَّظرِي حيثُ يَجمَع الملَف بَين نَوعَين من الدّراسَات، ويُمكن الجَمع في الدّراسَة الواحِدَة بين الجَانِبين النَّظَري والميدَاني تَوَخّيًا لنتَائِج أَصيلَة وتَوصيَاتٍ جَادَّة. كَما أنَّ تشخيص المشكِلات المرتَبِطة بالأُسرة المسلِمَة وَتحليلِ ظُروفهَا وأسبَابهَا وانعِكاسَاتها يقتَضي مُمارسَةً مَنهَجيّةً دقيقَةً تَتوخَّى أفضَلَ طُرق المعَالجَة ورُوحًا عِلميَّةً تجمَع بين التَّخَصُّصية والإبدَاع في التَّحليل والنَّقد.

بِنَاءً عَلى مَا تَقَدَّم؛ نَدعُو المجتَمَع العِلمِي بِتَخصُّصَاته المختَلِفَة ذَات الصّلَة بالموضُوع للمُسَاهَمة في الكتَابَة مِن منظُورٍ إسلامِيّ ضِمنَ المحَاوِر التي نَطرَحُهَا كالآتي:

المحور الأول: بِنيَة الأُسرَة: يُعَالجُ المحوَر مَفهُومَ الأُسرَة وِفقَ أبعَادهَا الفِطريَّة، وَيَعرِضُ للتَّحَوّلات التَّاريخيَّة لمفهُوم الأُسرَة والعَوَامِل المؤثّرَة في ذَلك، بمَا في ذَلك المخَاطِر النَّفسيَّة والاجتمَاعيَّة والتَّربويَّة للتَّصوُّرات غَير التَّقليديَّة لبِنيّة الأُسرَة وَيستَعرض التَّصوُّرات الدّينيَّة لشَكل الأُسرة مُقَارَنةً بالتَّصوُّرات المثليَّة تحدِيدًا، كمَا يُسَلّط الضَّوء عَلى مَأزق الأُسرَة غَير التَّقليديَّة في استِيعَابها الأَخلاقِي واقتِدَارهَا التَّربَوي.

المحور الثاني: وظَائِف الأُسرَة: يَتضَمَّن المحوَر معَالجَات لقَضايَا الوَظائف الأَصليَّة للأُسرَة مثل الإنجَاب والتَّرقيَة السُّلوكيَّة والكِفَايَات النَّفسية والمادية...إلخ وأبعَاد تِلكَ الوَظائِف وعَلاقتهَا بوظيفَة الاستِخلَاف وتَحقِيق الشُّهُود الحضَاري كمَا يَستَعرِض صُور وانعكَاسَات فُقدَان "الضَّمير الأُسَري" بأَشكَالِه المختَلفَة عَلى الحيَاة.

المحور الثالث: التَّمَاسُك الأُسَري: يَتَناولُ المحوَر قَضَايا الانسجَام الأُسَري ومَدى تَحقُّقهَا في الوَاقع الأُسَري اليَوم، ويَتنَاول دَور التَّحدِيث الثَّقافي في التَّفكُّك الأُسَري والأنمَاط الزّواجيَّة وتَأثيرهَا على التَّوافُق الأُسَري، إضافةً إلى تَسليط الضَّوء عَلى المعَالجَات الإسلاميَّة لمظَاهر الإهمَال العَائلِي والمشكلات الزَّوجيَّة المستجدَّة، ورَصد أسبَابها واقتِراح حلُولٍ لهَا.

المحور الرابع: الثَّقافَة المحليَّة وقِيم الأُسرَة: يَختصُّ المحوَر ببحثِ التَّصوُّر الاجتمَاعي للأُسرَة وللقيَم الأُسريَّة ويَتنَاوَل العَناصِر السّلبيَّة لبعضِ الممَارَسَات التَّقليديَّة المتَلبّسَة بالدّين وأَخطَائِها الجَسِيمَة على المستَوى التَّربوي وعَلى مُستَوى العَلاقَات الأُسريَّة مثلَمَا يتَنَاول الجَوانب الإيجَابيَّة للثَّقافة المحَليَّة في حِراسَة القِيم الدّينيَّة داخِل الأُسرَة، كمَا يبحَث درَجَة المنَاعَة الذَّاتية لدى المجتَمعَات الإسلاميَّة ضد عَوامِل الاختراَق الثَّقافي للأُسرَة.

المحور الخامس: المعَالجَات القَانونيَّة لقَضايَا الأُسرَة: يُركّز المحوَر عَلى طبيعَة التَّناوُل القَانوني لقَضايَا الأُسرَة وحَجم التَّأثير الإيديُولُوجي في تَعديل قَوانين الأُسرَة، وامتِداد الفِكر النّسوي الحدِيث في إبطَال العَناصِر الإسلاميَّة فيهَا وتَشتِيتها، كمَا يُعالج مَدى مُلاءمة قوَانين الأُسرَة المعَاصرة لِوَضع المرأَة وحُريَّتها وكرَامتهَا، ومَدى مُواكَبة تلك القَوانين للتَّطوُّر الاجتمَاعي والاقتِصَادي ومَدى عَدالتِه وتَحقُّقه بقِيم الوِئَام الأُسَري كمَا تَقتضِيها تعَاليم الدّين الإسلامِي الذي يَنصّ عَلى حِفظ الحقُوق والكَرامَات والاحترَام المتبَادَل وبذلِ أسبَاب المودّة والرّحمة. ويَعرِض المحوَر لتِلك القَضَايا القَانونيَّة مِن خِلال نمَاذِج: الرِّدَّة (تغيير المعتقد) والوِلايَة والميرَاث والزَّواج المبَكّر والزَّواج المختَلِط والعُنف المنزِلي... إلخ

المحور السادس: تَحدّيَات التَّنشِئة الإسلاميَّة: يَعرِض المحوَر لجَدليَّة العلاقَة بَين التَّنشِئَة وهُويَّة الأُسرَة، كمَا يَعرض للتَّبايَنَات القِيميَّة بين أجيَال الأُسرَة الواحِدة، ويُحلِّل أَزمَة التَّربية الوَالديَّة في العَالم الإسلامِي في ظِل الازدِواجيَّة الثَّقافيَّة التي تَعيشُها المجتمعَات المسلمَة، وانفِتَاح الأُسرَة على وسَائِط التَّلقّي غَير التَّقليديَّة، التي تُشكّل تَحدّيًا للمَنظُومة الأَخلاقيَّة للمُجتَمَع

كمَا يَبحَث تحَدّيات التَّنشئَة الإسلاميَّة لدَى الجَاليَات المسلمَة في الغَرب في ظِل السّياسَات الرَّسميَّة التي لا تُراعِي الخُصُوصيَّات الثَّقافيَّة وفي ظِل تَأثير سُلُوك الأَقرَان وسُلوك المجتَمَع.

المحور السابع: النّظام التَّعليمِي وازدِواجيَّة القيَم الأُسريَّة: يُعالج المحوَر طبيعَة القِيم المكتَسبَة من الوسَط التَّعليمِي ويُقارِن بينَها وبين القيَم الأُسَريَّة المكتَسبَة، إضافَةً إلى تَحلِيل أبعَاد السَّيطرَة العَلمَانيَّة على النّظام التَّعليمِي وانعكَاسَاتها العَقَدِيَّة والأَخلاقيَّة، وآثَار استِبعاد البُعد الإسلامِي من البَرامِج التَّعليميَّة لصَالح العَولمة، كمَا يُسلّط الضَّوء عَلى نمَط التَّحديث العَنيف الذِي تُمارسُه المدَارس الأجنَبيَّة في العَالم الإسلامِي وأَدوَارُها في إذكَاء صِراع القِيم داخل الأُسرَة، ودَور البَدِيل التَّعليمِي والتَّربوي الإسلامِي.

المحور الثامن: الإعلام وحَصَانة القِيم الأُسَريَّة: يَستَعرضُ المحور طَبيعَة التَّنَاول الإعلامِي لقَضَايا الأُسرَة المسلمَة، والأدوَار السّلبيَّة التي تُمارسهَا بعض الوَسَائط الإعلاميَّة حولَ شكلِ الأُسرَة وهُويَّتهَا وطبيعَة أدوَارهَا وسُلُوك أفرَادهَا إضَافةً إلى التَّطبيع مع الرَّذيلَة وتَصدِيرها اللاأَخلاقِي لموَاد تتَنَاقَض مع رسَالة الأُسرة المسلمَة وقيَمهَا، كمَا يحَلّل حَجم التَّقصِير الإعلامِي في مُمارسَة دَورِه الرّسَالي المنُوط بتَثقيف المجتمَع وتَعزيز القيَم الضَّروريَّة للأُسرَة، ويَقتَرحُ عدَدًا من المسَارَات لصِنَاعَة مَادَّة إعلاميَّة إسلاميَّة تُعنَى بتَنبِيه الأُسرَة نَحو مخَاطر تَصدُّع القيَم الأُسَريَّة كمَا تُعنَى بتَسلِيط الضَّوء عَلى المَمارسَات السَّلبيَّة للتَّنشئَة، وتَوفِير الدَّعم النَّفسِي الوِقائي تجَاه مَظَاهر الشُّذُوذ والإدمَان والاستِهلاك غَير المنضَبِط للمَواد والوسَائط الإعلاميَّة المتَعدّدَة.